

المجلد: 06 / العدد: 01 جوان (2022)، ص 49/41

الأدب والكتابة النسوية

Literature and Feminist Writing

د. عطى الله الناصر

ensbnaceur@gmail.com

جامعة ابن خلدون – تيارت –

(الجزائر)

تاريخ النشر: 2022/06/02

تاريخ القبول: 2022/04/25

تاريخ الاستلام: 2022/01/07

ملخص:

تعد الكتابة النسوية في الآونة الأخيرة فضاء مليئا بالقضايا الإنسانية والاجتماعية المختلفة ، ويمثل ذلك في تحديها للواقع المعيش وتقديمها للمواضيع التي تثير القارئ، من خلال معالجتها وتناولها لقضايا كثيرة معقدة عبر مساءلتها للأوساط الثقافية والأنساق الحضارية لبث الروح لأبعاد وأشكال المعنى المراد في الأعمال الإبداعية التي عملت على تشكيل هوية المرأة وتحديد علاقتها بذاتها والعالم الآخر، كل هذا بعيدا عن السطوة الذكورية والتصنيف الجنسي، وشق طريق الإبداع الفكري والفني الذي يهتم بالعمل ذاته لا بالذات المبدعة .

كلمات مفتاحية :

الأدب النسوي، الكتابة النسوية، الابداع والمرأة، التصنيف الذكوري، الكتابة والمرأة.

Abstract:

In the last moments, it has been noted that feminist writing takes a long time in the various humanitarian and social lines, as well as its challenge and its presentation of the contents to the reader.

The treatment and use of the different conflicts confi lexis through the cultural milieu and the citation models that they give the exact meaning to the creative work to form an identity to the woman by specifying her relation on herself and with the world.

All this lion de Lore masculine and sensual classification, opening a path of intellectual and artistic creation that he is interested in travause in itself and not in himself.

Keywords :

Feminist writing, creativity and women, masculine classification, masculine organization, writing and women.

تمهيد:

لقد شكلت الكتابة النسوية العربية في الآونة الأخيرة فضاء مليئا بالقضايا الفنية والإيديولوجية، ويتبلور ذلك في تحدي هاته الأخيرة للواقع واستفزازها للمتلقى وذلك من خلال معالجتها وتطرقها للكثير من القضايا والمواضيع المترابطة، كل هذا من أجل إعادة ترميم وبناء المشهد الاجتماعي والابتعاد عن السطوة المركزية التي أثارت وصورت عجمة كبيرة في المشهد الأدبي الذي جعلت منه رقعة معنية بالدراسة والتحليل والنقد.

إن الأدب النسوي موضوع اهتمت به الكثير من مناهج ما بعد البنيوية ونظريات ما بعد الحداثة وفي صدارتها النقد الثقافي، والمقصود بالأدب النسائي هو الأعمال التي تكتب من قبل مؤلفات، أو الأعمال الأدبية التي تكتبها النساء سواء كانت مواضيعها عن المرأة أم لا..؟

أضف إلى ذلك لقد أثار مصطلح النسوية "Féminisme" الكثير من الإشكالات والجدل وزوايا النظر في شتى الأنواع الفكرية، وكذلك على صعيد الإبداع والكتابة الأدبيين، لغاية ظهور الأدب النسوي والشعر النسوي والسرد النسوي ولم يستقر المصطلح على هيئة واحدة، وهذا لاختلاف الخصائص البيولوجية والجنوسية والثقافية... إلخ. تقول الشاعرة سعاد الصباح:

"يقولون إنني كسرت بشعر يجرد الفضيحة
وإن الرجال هم الشعراء
وكيف ستولد شاعرة في القبيلة
وأضحك من كل الهراء

وأسخر من يريدون في عصر حرب الكواكب ووأد النساء"¹

وتقول الروائية الجزائرية أحلام مستغانمي بلسان إحدى شخصياتها في رواية فوضى الحواس: "إنه في النهاية ينتمي إلى السلالة الأسوأ من الرجال، تلك التي تخفي خلف رصاتها ووقارها، كل عقد العالم وقدراته".

لا شك وأنت أمام هذين النموذجين لشاعرة إماراتية وروائية جزائرية مدفوع إلى القول أننا بصدد شن حرب على الرجال، انطلاقاً من كتابات نسوية للعودة إلى الإشكالية القديمة التي تفرض هيمنة الرجل وخضوع المرأة في وقت ما تم مسارها نحو التحرر والتمرد على السلطة الذكورية وهو ما يظهر جلياً في أعمال إبداعية عديدة نسوية أو ذكورية، لكن بحثنا هذا يحاول أن يسلط الضوء على إحدى الإشكاليات حالياً بالأخص في عالمنا العربي، وهي إشكالية الأدب النسوي من حيث تفرده بخصائص تميزه عن أدب الرجال.

وأول ما واجهنا أثناء هذا العمل هو المصطلحات العديدة التي اعتبرها بسام قطوس، "اللبس واللغز ليس بسبب صعوبة الفصل بين أدب الذكور وأدب الإناث وحسب، بل بسبب مانتير هذه المصطلحات من صعوبة حدها إذا تم اختيارها"³.

— فهل الأدب النسائي هو الأدب الذي تكتبه النساء؟ أم الأدب الذي يكتب عن النساء؟
— وإذا كان كذلك فهل الأدب الذي تكتبه النساء أو يكتب عنهن يتمتع بسات فارقة تجعله يستحق الانفراد بتسميته "أدب نسوي"؟

— وماهي الفروق النوعية بين هذا الأدب المكتوب بقلم الرجال عن المرأة، أو المكتوب بقلم المرأة نفسها؟
— وأين يقع الأدب الذي تكتبه المرأة عن الرجل مثلاً؟ أو الذي تكتبه عن الوطن أو الحرية أو الموت؟ وحتى لا نضيع في خضم هذه الإشكاليات انطلقنا في عملنا هذا من الأدب الذي تكتبه المرأة بغض النظر عن موضوعه أو جنسه، في محاولة للوصول إلى بعض السمات المميزة له إن وجدت مركزين على المرأة العربية المبدعة، وظروف الإبداع الخاصة بها وبمضامين كتاباتها وتوجهاتها.

1. النقد النسوي:

إذا كان الأدب النسوي يؤكد مقولة وجود إبداع نسائي وآخر ذكوري لكل منهما هويته وملامحه الخاصة، فإن هذا يقودنا إلى الحديث عن النقد النسوي الذي يهتم بدراسة أدب المرأة ويتابع دورها في الإبداع، ويبحث عن خصائصه الجمالية واللغوية والبنائية.

أ. تاريخ النقد النسوي:

بدأ الاهتمام بأدب المرأة في فرنسا وإنجلترا ومن أعلامه: الروائية فرجينيا وولف Virginia Woolf (1882-1941)، والأديبة سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir (1908-1986)، وقد مثلت هاتان الناقدتان التيار الذي يتحدى هيمنة الرجل على الثقافة، وبالتالي سعنا لإبراز جماليات الكتابة الأنثوية وتميزها كما حاولت الناقدة الأمريكية إلين

شوالتر Elaine Showalter في كتابها: "أدب خاص بهن" أن تتجه إلى المرأة كقارئة ومؤلفة، وتوصلت شوالتر إلى "وجود اختلاف عميق بين كتابة النساء والرجال، وترى أن ثمة تراثاً أنثوياً من الكتابة النسائية قد أغفل"⁴. وسار النقد النسوي مقتضياً أثر التحليل النفسي والنقد البنوي، فأخذ يقرأ الأدب باحثاً عن صورة الرجل فيه آملاً في الوصول إلى مظاهر الهيمنة في النظام البطريكي (الذكوري) على حساب المرأة، وذلك ما تؤكد الباحثة ماري إيغلتون Marie Eagleton في كتابها "النقد الأدبي النسائي 1992"، تقول: "نحن نواجه تاريخاً طويلاً من النظريات الأبوية التي تزعم أنها أثبتت بصورة قاطعة أن النساء أدنى من الرجال، وليس من المستغرب إذن أن نلتزم الحذر"⁵.

ب. قضايا النقد النسوي:

ركز النقد النسوي على إبراز مجموعة من السمات الخاصة به مثل:

- التركيز على التجربة الأنثوية المتميزة إدراكاً وتفكيراً وشعوراً.
- البحث عن خصائص مشتركة تتعلق بالتجارب الانثوية كالحمل والرضاعة والأمور العاطفية.
- التركيز على خصائص لغة الأنثى.
- التركيز على المواضيع النسائية أو ما يعرف بالتييمات النسائية وإظهار عبقرية البناء الأدبي النسوي.

2. المرأة العربية والابداع:

الكتابة الصادرة عن النساء فعل تحدي وتطلع إلى تغيير العالم البطريكي فهي وسيلة من وسائل التحرر وسبيل من سبل الخلاص من وضعها في مجتمع لا ينزلها منزلة متكافئة مع الرجل . ويبدو أن اعتبار الأدب فعل ذكوري منذ القدم جر الويلات على المرأة "فمتابعة أدب المرأة طريق يحفه الظلام ويغشاه الغبار قبل عصر التدوين وحتى بعده لأن عصر الذكور هم من قام بهذه المهمة"⁷، ولأجل ذلك جاءت الكتابة النسائية محاولة لإثبات الذات وإقامة البرهان على قدرة المرأة أن تكون أدبية فكأنها إذا ما كتبت تساوت مع الرجل وحطمت جدار الاختلاف الذي يقيم مجتمعنا العربي على وجه خاص بين الجنسين، ولذلك نجد هذا التحدي الصريح من أدبيات عربيات كالشاعرة سعاد الصباح التي تقول:

"يقولون إنني كسرت بشعري جدار الفضيلة..."

وأن الرجال هم الشعراء...

...واسخر ممن يريدون في عصر حرب الكواكب...

وواد النساء".

ومن الواضح أن الشاعرة الخليجية تنبض بروح التحدي ضد الرجل إذ يعد ديوانها "فتافيت امرأة"، صرخة مدوية عالية في وجه الرجل والمجتمع الذكوري الذي يعتبر الممارسة الإبداعية النسوية "إثم عظيم" إذ تقول:

"يقولون إن الكتابة إثم عظيم... فلا تكتبي

وإن الصلاة أمام الحروف... حرام فلا تقرري

وإن مداد القصاصد سم...

فأياك أن تشري...".

وتضيف في تحدي:

"وها أنا ذا قد شرقت كثيراً

فلم أسمح بحجر البوابة على مكنتي

وها أنا ذا قد كتبت كثيراً

وأضرمت في كل نجم حريقاً كبيراً

فما غضب الله يوماً علي

ولا استاء من النبي"⁸.

وهذا التحدي وإثبات الذات عن طريق الكتابة نجده في لغة سردية رسمت بها أحلام مستغامي "ذاكرة الجسد" في قولها "لا تبحث كثيرا... لا يوجد شيء تحت الكلمات إن امرأة تكذب هي امرأة فوق الشبهات لأنها شفافة بطبيعتها، إن الكتابة تظهر مما يعلق بنا منذ لحظة الولادة"¹¹، هكذا ترى المرأة العربية الكتابة فهي مساحة للروح "تقيم بها علاقة جمالية مع الواقع تعطيا فرصة الاستمتاع بفرح الإبداع"¹².

3. مواضيع الكتابة النسوية:

ركز النقد النسوي على بعض الموضوعات التي يرى فيها أن المرأة تتمتع بقدر كبير على تصويرها لعمق تجربتها فيها ومعايشتها لها، وكما تقول الباحثة صبيحة شبر: "لماذا يستنكر بعض نقادنا أن تكون المرأة كاتبة قادرة على تصوير عالم المرأة الداخلي والتعبير عن مشاعرها، ووصف ما يختلج في قلبها من أحاسيس لا يمكن للرجل أن يصفها بالدقة التي تبدع بها الكاتبة"¹³.

ولكن السؤال هو هل تقتصر كتابات المرأة على تصوير العالم الداخلي لها أو لنقل عالم الأنوثة؟ أم أنها استطاعت أن تطرق أبواب مواضيع أخرى وتعبّر عن مختلف قضايا عصرها؟ وأكد أن الجواب موجود الآن، "فبعض الكتابات العربية تميزن بالتطرق للمواضيع التي تهتم المجتمع كله في السياسة والاجتماع وحركات التحرر وتقرير المصير في الوطن والمحيط العربي والعالم..."¹⁴.

ولكن هذا الجو يوقنا في تناقض التسمية "أدب نسائي" فإذا كانت كل هذه المواضيع قد نوقشت وأشبعها الرجل تحليلا ودراسة، فإن النقد الموجه لها هو "أنها لم تأت بعد بالنصوص التي تتلاءم مع شخصيتها الأنثوية... وإن لجأت الكاتبة إلى عدم المباشرة في طرح الأفكار وإلى أسلوب المجاز والاستعارات قالوا أنها تخاف من التصريح بأفكارها الحقيقية"¹⁵.

من هنا يتضح أننا سنواجه في هذا البحث في كل مرة نقدا يشن ضد المرأة الكاتبة لأن مجتمعاتنا العربية لا تزال مجتمعات ذكورية لم تعترف بعد بحق المرأة في التنفس ضمن فضاء الكلمة ولأجل هذا سنحاول أن نعرض بعض المواضيع التي خاضت المرأة العربية على وجه خاص الكتابة فيها مستشهدين بأساء لأقلام نسائية في أشكال تعبيرية مختلفة:

أ. الأدب الإيروتيكي:

تجرت المرأة أخيرا على خوض طابوهات المقدس وكسر ستار الثالث المحرم: الجنس، الدين، السياسة، "والمفاتيح للنظر في الأعوام الأخيرة أن المرأة العربية رغم ما واجهته من عواصف النقد والاحتجاج كانت أكثر جرأة على هذا المحرم من الرجل العربي، حيث تزايدت أعداد الروايات العربيات اللاتي يكتبن بجرأة في مواضيع الجنس"¹⁶. ومن هذه الكتابات رواية "خارج الجسد" لعفاف البطانية من الأردن، ومن ذات البلد "مراقى الوهم" ليللى الأطرش، و"أصل الهوى" لحزامة حبايب وفي البحرين رواية "إغواء امرأة" لهدى عواجي، ومن المغرب فاطمة الميريسي، ومن الجزائر "نساء الخجل" لفضيلة الفاروق والروائية أحلام مستغامي... إلخ وقد اعتبر حميد طولست هذا المغربي الحملة الشرسة التي واجهتها أحلام مستغامي ناتجة عن كونها امرأة، إذ يقول عن أصحاب الحملة أنهم استكثروا عليها "كونها أنثى تأتي بمثل هذا العمل الروائي غير المسبوق بمجالته ولفته الراقية وجرأته"¹⁷.

ب. المواضيع الذاتية:

ما عانت المرأة من تهمة وضطهاد لسنوات طويلة جعلها تفتح المجال لعرض هومها ووصف الصراع الذي حملته القبيلة أبا عن جد، فنجدها تعرض أوجاع الأنوثة وآلامها "إنها لوحة من نحت ورسم المرأة لنفسها لا علاقة لأي فنان ولا وجود لأي مادة أو أداة... في صنعها"¹⁸. وقد أثبتت الدراسات والتجارب المتعلقة بالجنسين (الرجل/المرأة) أن المرأة أقل قدرة على فصل العاطفة عن العقل وهذا ما يجعلها متقدمة على الرجل في المجالات العاطفية الشعورية، فنجدها تصف بعمق هومها وهواجسها حيث يهيم ضمير المفرد المتكلم على سياقات نصوصها.¹⁹

ومن ذلك ما تقوله الشاعرة الإماراتية صالحة غابش:

"عندما تختلس الأحزان مني زمنا

تنتهي فيها مراسيم الربيع
تتهي الوحدة حولي ككرات من ثلوج
ويغيب اسمي عن ذاكرة الشمس
فلا يذكرني إلا الصقيع²⁰.

وحالة من التوهج الشعوري على لسان سعاد الصباح قائلة:
"أنا في حالة حب.."

ليس لي منها شفاء
وأنا مقهورة في جسدي
كلايين النساء
وأنا مشدودة الأعصاب
لو تنفخ في داخل أذني
لتطارت دخانا في الهواء²¹.

ونجد الكاتبة أحلام مستغاني تنشد حريتها بالكتابة "وترسم مدارات علمها الباطني وأحاسيسها المتفجرة، وتمارس وهم التفوق والتأيز وهم تبديل وجه العالم من خلال الحرف"²² من خلال روايتها فوضى الحواس، وقد ظهرت اللمسة الأنتوية الذاتية في هذه الرواية، "إذا أنك تقع في متعة تعادل الكاتبة وهي تحنو على الكلمات حنو الأم وحدها وتنتجها بأنامل أنثوية، ولذة مقروءة بلذة الولادة وعذابها"²³.

من الواضح أن هواجس المرأة وعالمها الداخلي هو ماتسعى لعرضه من خلال الكتابة التي تعتبرها نوعا من التحرر وإثبات الذات ولذلك تقول أحلام مستغاني في نص ذاكرة الجسد: "لا تبحث كثيرا... لا يوجد شيء تحت الكلمات إنها امرأة تكتب هي امرأة فوق الشبهات لأنها شفافه بطبعها، إن الكتابة تطهر مما يعلق بنا منذ لحظة الولادة... البحث عن القدرة حيث لا يوجد الأدب"²⁴.

فهذا خطاب موجه للرجل الذي يقف موقف الشك والريبة من امرأة تكتب وكأنه يخشى على عالمه ويعتبر المرأة الكاتبة تحديا له ولملكاته التي سيطر عليها منذ عصور طويلة، ولأجل هذا كانت هذه المواضيع الذاتية سمة غالبية على الكتابة النسوية التي تريد الإفصاح عن هويتها وخصوصيتها.

ج. المواضيع السياسية:

أقحمت المرأة الكاتبة هذا الميدان بجرأة كبيرة، حتى لا تبقى حكرا على الرجال، إذ نجدها تقف موقف النقد من الأنظمة العربية وتعبير عن درجة من الوعي السياسي تصف من خلالها قضايا تاريخية وسياسية وعلى سبيل المثال تلك الانتقادات التي وجهتها أحلام مستغاني في ذاكرة الجسد إلى الساسة الانتهازيين الذين نهبوا الجزائر بعد الاستقلال أو كما وصفتهم: "أصحاب البطون المنتفخة... والسجائر الكوبية... أصحاب كل عهد وكل زمن... أصحاب الحقائق الدبلوماسية، أصحاب المهات المشبوهة وأصحاب الماضي المجهول"²⁵.

فالمرأة من خلال الخوض في المواضيع السياسية "تعكس أصوات رفض لا تخلو من وعي واحتجاج"²⁶، وهناك كتابات عديدة رصدت الأوضاع السياسية للجزائر مع نهاية آسيا جبار في روايتها "القبارات الساذجة" وشهرزاد زاغر في روايتها "بيت من حجاج"...

ح. المواضيع الاجتماعية:

حظي الجانب الاجتماعي بمكانة كبيرة من الاهتمام في الإبداع النسوي العربي عموما، وفي الجزائر نجد التفات المرأة المبدعة إلى المجتمع ورصد مواضيع تعكس السيطرة البطريركية في مقابل تمهيش المرأة والعنف الممارس ضدها في تقاليد المجتمعات العربية عموما كالإرغام على الزواج ونبد إنجاب البنات والعقم كما تجسد ذلك كتابات زهور ونيسي مثل قصة "هؤلاء الناس" التي تصور من خلالها إرغام الفتاة على الزواج ونفس الموضوع تناولته زليخة خربوش في قصتها "سوار من راية" و"خاتم من ورق" أما موضوع العقم فإن الكاتبة الجزائرية أحلام مستغاني تطرحه لنا في روايتها "فوضى الحواس": "إذ يبدي الزوج انزعاجه من جلوس البطلة لساعات أمام طاولة الكتابة بدل تخصيصها هذا الوقت لطفل لا

يأتي، إنما يرى في مخاض الكتابة أمومة بدلا من ضائع، أمومة مزيفة، وانحرافا عن دور الأمومة الحقيقية التي أرستها الطبيعة وأقرها المجتمع وجدها وعدها أولوية من أولويات الأنوثة الحقة"²⁷.

كما عهدت الكتابة في نفس الرواية إلى موضوع الحب بين الرجل والمرأة رغم كونه موضوعا مضاء من طرف إبداعات نسائية عديدة إلا أنه في فوضى الحواس يظهر تحديا وفضيحة بل كما وصفته الكاتبة "أكبر عملية فدائية تقوم بها امرأة جزائرية" لأنه: "نحو في وسط فضاء سياسي واجتماعي يقتات من ذاكرة دموية تنشر الغضب والضعينة"²⁸.

ومن هنا يمتزج الهم الفردي للمرأة بالهم الاجتماعي، ورواية ذاكرة الجسد لنفس الكاتبة لا تخلو من هذا التصوير للمهموم الاجتماعية في تعرضها لمشاكل الشباب فقد أخذ أخ البطل خالد بن طوبال يعلم بشراء ثلاجة ويقول راوي الرواية عن الشباب "ها أنت تملك الخيار بين أن تمشي أو تتكئ على جدار أو تجلس في مقهى لتأمل الذين يمشون أو متكئون أمامك على حائط الرصيف المقابل"²⁹.

واهتمت آسيا جبار برصد وضعية المرأة في المجتمعات العربية عموما ففي إحدى رواياتها "أطفال العالم الجديد" تقدم لنا نماذج من النسوة الجزائريات "المرأة اللامبالية، المرأة الوطنية، المرأة السلبية المرأة المتمردة"³⁰، كما تناولت موضوع العلاقة بين الزوجين والتأثير السلبي الهدام للعادات والتقاليد الاجتماعية لهذا الرباط المقدس في روايتها "ظل السلطانة". ومن الملاحظ أن المواضيع الاجتماعية كثيرة الطرح في الإبداع النسوي مما يدل على أن عين الأثى وإحساسها بالمحيط وقدرتها على التعبير عن حالها وبيئتها كبيرة جدا.

خ. المواضيع التاريخية:

كانت المرأة العربية ولا تزال واعية بأحداث أمتها وتاريخها، فإذا سلطنا الضوء على أهم حدث في تاريخ الجزائر ألا وهو الثورة الجزائرية وجدناها تنبض في أعمال نسوية عديدة مثل "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي أو "الحب والفتازيا" لآسيا جبار إذ تقدم هذه الأخيرة نماذج لنساء شاركن في حرب التحرير وتقول عنهن آسيا جبار: "هؤلاء النسوة لم يمارسن الأدب في حياتهن، أكثر مما عايننا في الحرب، كانت كلماتهن خناجر لقد سمعت حكايتهن تردد، وأردت أن أترجمها كي أقتل القرن التاسع عشر داخل صوت من خلالهن"³¹، كما كتبت زهور ونيسي عن المرأة الجزائرية التي ذهب زوجها وتركها في البيت بمفردها تعاني ويلات الاستعمار، لكنها تنصدى له بكل شجاعة وعزم في قصتها "فاطمة". ونجد تصوير المرأة لمختلف الأحداث التاريخية للأمة العربية مثلما تفعل ذلك الشاعرة الخليجية صالحة غابش التي ترى "في بطولات أطفال الحجارة آفاق المستقبل السعيد، وإقناذ المسجد الأقصى من قهر الاحتلال"³²، إذ تقول في إحدى قصائدها:

"اصمتوا.."

ودعوا الأحجار في أيدي الطفولة.

تتغنى كل يوم بمقولة.

كلها صبر... عناد... وبطولة.

كلها حب... حكايات جميلة

نبت الحب جنانا حول أقصانا السعيد

أثملات الحب تحشو عنه أحزان السنين"³³.

رغم كل المواضيع التي تطرقت لها المرأة إلا أنه هناك من يرى أن المرأة العربية "مازالت متخوفة من الإفصاح عن أدق مشاعرها الأنثوية ونداءات قلبها حين يخفق بالحب وهذا ما أعطى للرجل فرصة التعبير عن مشاعرها وكان تعبيره غريبا خياليا"³⁴، ولعل هذا الموقف الآن يكاد يتجاوز الزمن إذ نجد وكما سبق الذكر أن المرأة عموما قد أصبحت لها الجراءة على خوض مواضيع عديدة كانت من الطابوهات مثل "الجنس".

ولابد من الإشارة إلى أن الكتابة النسوية لاحت فيها بشائر إنتاج أدب خال من الاضطهاد أو التعارض مع الرجولة بل بالعكس تهدف إلى فهم الطرف الآخر الذي لم يفهمها وهمشها لسنوات طويلة، مثلما تفعل ذلك أحلام مستغانمي في "فوضى الحواس" إذ تحاول بأنوثتها الدينامية المبدعة أن تفهم الآخر،...فالقاصة لا تنتج هذا إلا مع الأنوثة والرجولة في اتحادهما وتواصلها"³⁵، ونفس الأمر تذهب إليه سعاد الصباح فهي لا تتهاجم الرجل إنما تتهاجم سلطته التي لا تعترف

بالأنوثة المبدعة، "الرجل الذي يخضعها لرغبته ويأمرها بأوامره وما عليها إلا الإذعان، إنها تحب ذلك الرجل في عمق أعماقها ولكن ذاتها وإرادتها يهاجمان ذلك الحب أو المعنى الأصح سيادة ذلك الحب"³⁶.
 إذ تقول في إحدى قصائدها:
 "لو كنت تعرف كم أحبك
 لم تعاملني كفرعون
 ولم تفرض شروطك مثل كل الفاتحين .
 لم تعرف كم أحبك ...
 لم تكسرنني كأرض للفلاحة ...
 شأن كل المالكين..."³⁷.

4. خصائص الكتابة النسائية:

أ. الخصائص اللفظية والتعبيرية:

لعلم النفس السبق في رصد هذه الاختلافات في اللغة بين الجنسين، مما سمح لبعض العلماء أن يطلقوا على بعض الألفاظ أنها من ألفاظ الرجال والبعض الآخر من ألفاظ النساء كالحكم الذي أصدره أبو بكر الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" حيث علق على قول امرئ القيس في معلقته على لسان امرأة: "لك الويلات إنك مرجلي" بقوله: وهذا من كلام النساء.

وتوالى الدراسات التي حاولت الوقوف على لغة المرأة وتوصلت إلى مجموعة من النتائج نوردتها فيما يلي:

- تتفوق المرأة على الرجل في اختيار الألفاظ ودقة الربط في بعض المجالات التي تدخل في دائرة اهتمامها مثل الألوان والزينة والديكور.
- غلبة الألفاظ التي تدل على قوة المشاعر والعواطف والانفعالات في لغة المرأة.
- غلبة الكلمات التي تعكس تحفظ المرأة وترددتها في إصدار الحكم القاطع مثل: ربما، من المحتمل، أفترض هذا...الخ.
- انتقاء الألفاظ المؤدبة والحالية من الإيجاءات غير المستحبة وفي هذا يقول أحد العلماء HASS عن النساء "إنهن خجولات نحو الإشارة إلى أجزاء معينة من الجسم وإلى وظائف طبيعية معينة بصورة مباشرة، وعادة ما يتجنبن الألفاظ السوقية أو المكشوفة".

- تكثر النساء من استخدام صفات الاستحسان أو التقييم مثل: رائع، جميل، حلو، جذاب، مزعج، مؤلم...

- استخدام أوصاف ذات إيجاءات أنثوية بخلاف الرجال الذين يستخدمون الأوصاف ذات الإيجاءات الذكورية³⁸.

ب. خصائص الإبداع النسوي من الناحية الشكلية:

أورد الباحث عبد النور إدريس في مقال له بعنوان "المرأة والكتابة بالجسد" مجموعة من الخصائص المميزة للسرد النسوي أو الرواية نلخصها فيما يلي:

- انتقال البطولة من التذكير إلى التأنيث وحتى عندما تعمل الروائية على تذكير البطولة نجد أن البطل عندها فصل على المقاس النسائي.

- تعنيف الطابوهات وتذويب اللغة محور الإبداع النسوي من حيث اشتغاله على صورة المرأة ومقاومة الدونية أمام مجتمع يتنكر للنساء، وبالتالي تلغى على كتابتهن نزعة التمرد والإدانة والانتقاد³⁹، وقد أورد الدكتور نبيل أبو علي في مقال له ما قالته الباحثة إلهام أبو غزالة حيث أجرت دراسة على بنات جنسها فقالت "كلهن يبكين دون أن يضرين جميعهن يتمتعن بمساحة من الحرية وافرة لأنهن من بنات المدينة وبنات بيئة اجتماعية منفتحة، ومع ذلك حينما تكتب تذكر القبيلة والعشيرة في حين أنه لا قيود ولا عشيرة"⁴⁰.

- الكتابة بتقنية البورتريه والارتكاز على السير الذاتي المقرون بتعريف الذات.
- أما من ناحية اللغة فهي لغة تحمل جانبا انفعاليا كبيرا.
- ذكرت الكاتبة ناتالي ساروت Nathalie Sarrot عدم استطاعة المرأة الكاتبة الخروج من دوامة منظومة الانفعال الذاتي والخروج من التجربة الذاتية إذ تقول: "أعتقد بأن كبار الكتاب وخاصة من أمثال "بروست Prost" هم ذكور وإناث في نفس الوقت، وهذا ما جعله يتمكن من وصف الرجال والنساء سواء بسواء بشكل جيد وهذا أيضا ما جعل "فلوبير Flaubert" يكتب مدام بوفاري بشكل جيد، وإذا كانت النساء حتى الآن تجدن صعوبة في وصف الرجال فذلك لأنهن بقين سجينات أنفسهن وهن لا يستطعن الخروج من ذواتهن هذا هو الخطر الذي يجب التنبيه إليه"⁴¹.

خاتمة:

في ختام هذا المقال و من خلال ما سبق عرضه تبين لنا:

- وجوب التركيز على مصطلح الأدب النسائي أو أدب المرأة الذي أثار الكثير من الجدل في الآونة الأخيرة وأن الكثير من الباحثين والباحثات على وجه خاص يرفضن هذا التصنيف ويعتبرونه واجهة أخرى للسيطرة الذكورية.
- مسألة الإبداع لا تخضع للتصنيف الجنسي، وعندما تحصل المرأة على نفس الحظوظ سواء في حياتها العامة أو في الإنتاج الفكري والفني فإن التقييم لا يتجه إلى الذات المبدعة، امرأة أو رجل بقدر ما يجب أن يهتم بالإبداع ذاته⁴². ولعل الإجماع هو حول وجود بعض الخصائص المميزة للإبداع النسوي وتمثلت فيما ذكرناه آنفا.
- تعتبر الكتابة النسائية إضافة حقيقية للإبداع الإنساني حيث أن المرأة تتمكن من الكتابة عن المسكوت عنه انطلاقا من عالمها الداخلي ولغة أنوثتها التي تميزها عن أخيها الرجل.
- النقد النسوي وهو نقد يكتبه النساء والرجال قصد الانتصار للمرأة ووصف مدى مقدار المعاناة والظلم الذي لقيته.
- شيوع استخدام مصطلح «النسوية» وكثرة تداوله في الكتابة حول أدب المرأة، هو ما أثر استخدامه عند الحديث عن تيارات ورموز وخصوصية هذا الأدب.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحلام مستغاني: فوضى الحواس، دار الأدب، بيروت، ط1، 2001.
2. أحلام مستغاني: ذاكرة الجسد، منشورات أحلام مستغاني، بيروت، ط1، 2001.
3. أحمد الخليل: الكون الشعري (مدارات ومسارات في التدنوق الجمالي)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007.
4. أحمد زين الدين: فوضى الحواس لأحلام مستغاني رواية الأنوثة المهذورة على أعتاب الوطن، مجلة الاختلاف، العدد3، ماي 2003.
5. أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1996.
6. آمنة بلعلي: قيل في أحلام وقد يقال عنها، مجلة الاختلاف، العدد3، ماي 2003.
7. بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ط1، 2006.
8. جعفر يابوش: الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2007.
9. حدة بن حفاف: الأدب النسائي الأندلسي، رسالة ماجستير، إشراف د/ تيجال نادية، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2009/2008.
10. فاضل خلف: سعاد الصباح، الشعر والشاعرة، منشورات شركة النور للصحافة والطباعة والنشر، الكويت، ط1، 1992.
11. مولود قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996.

الهوامش:

- 1- فاضل خلف: سعاد الصباح، الشعر والشاعرة، منشورات شركة النور للصحافة والطباعة والنشر، الكويت، ط1، 1992، ص08.
- 2- أحلام مستغاني: فوضى الحواس، دار الأدب، بيروت، ط1، 2001، ص50.

- 3- بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، مصر، ط1، 2006، ص217.
- 4- المرجع السابق، ص219.
- 5- المرجع السابق، ص220.
- 6- جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2007، ص144.
- 7- حدة بن حفاف: الأدب النسائي الأندلسي، رسالة ماجستير، إشراف د/ تيجال نادية، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2009/2008، ص22.
- 8- فاضل خلف: سعاد الصباح، الشعر والشاعرة، ص08.
- 9- فاضل خلف: سعاد الصباح، الشعر والشاعرة، ص57.
- 10- المرجع نفسه، ص57-58.
- 11- أحلام مستغاني: ذاكرة الجسد، ص335.
- 12- جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد، ص144.
- 13- صبيحة شبر: أدب نسوي أم نسائي، مقال إلكتروني، الرابط: "www.c-we.org/ar/shouw.art".
- 14- المرجع نفسه، نفس الرابط.
- 15- المرجع نفسه، نفس الرابط.
- 16- حميد طولست: ظاهرة الكتابة الإيروسية عند المرأة، مقال إلكتروني، الرابط: "www.divanalarat.com".
- 17- المرجع نفسه، نفس الرابط.
- 18- جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل، المرجع نفسه، ص148.
- 19- ينظر: أحمد الخليل: الكون الشعري (مدارات ومسارات في التذوق الجمالي)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007، ص188.
- 20- أحمد الخليل: المرجع نفسه، ص189.
- 21- فاضل خلف: سعاد الصباح، الشعر والشاعرة، ص63.
- 22- أحمد زين الدين: فوضى الحواس لأحلام مستغاني رواية الأنوثة المهذورة على أعتاب الوطن، مجلة الاختلاف، العدد3، ماي 2003، ص35.
- 23- المرجع السابق، ص35.
- 24- أحلام مستغاني: ذاكرة الجسد، ص335.
- 25- آمنة بلعلي: قيل في أحلام وقد يقال عنها، مجلة الاختلاف، العدد3، ماي 2003، ص32.
- 26- جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد، ص148.
- 27- أحمد زين الدين: فوضى الحواس لأحلام مستغاني، ص36.
- 28- المرجع نفسه، ص36.
- 29- آمنة بلعلي: قيل في أحلام وقد يقال عنها، ص34.
- 30- جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل، ص152.
- 31- ينظر مولود قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996، ص139.
- 32- المرجع نفسه، ص137.
- 33- أحمد خليل: الكون الشعري، ص199-200.
- 34- جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد، ص154.
- 35- أحمد زين الدين: فوضى الحواس، ص35.
- 36- فاضل خلف: سعاد الصباح، الشعر والشاعرة، ص66.
- 37- المرجع السابق، ص66.
- 38- أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص95-99.
- 39- ينظر: عبد النور إدريس: المرأة والكتابة بالجسد، الموقع: "www.syriantory.com".
- 40- نبيل أبو علي: سات الكتابة النسائية بين الماضي والحاضر، الموقع: "fs2020.maktoubblog.com".
- 41- عبد النور إدريس: المرأة والكتابة بالجسد، المرجع السابق.
- 42- نعيمة النوري: سؤال الخصوصية في الإبداع النسوي، الموقع: "www.almaghribia.ma".